

قراءة جديدة في نظرية تشومسكي اللغوية

المدخل التاريخي للنظرية :

بعد ان سيطرت المدرسة الوصفية البنيوية على الدرس اللساني في الغرب ، أخذت الافكار عند بعض اللسانيين تضيق ذراعاً بالطابع الوصفي الذي هيمنَ على الدرس اللساني .

فنظرية تشومسكي في حقيقتها نظرية نقدية ، لانها قامت على اصلاح بعض الهفوات التي وقعت فيها المدرسة الوصفية .

ففي سنة (١٩٥٧) بدأت ثورة في الدرس اللغوي حين أصدر تشومسكي ، كتابه الأول (syntactic . structure)، (البنى النحوية) ومن ذلك الحين تغير اتجاه اللغة من الوصفية الى منهج جديد ، هو ما يعرف الآن بـ ((النحو التحويلي)) ، والحق ان تشومسكي يمثل ثورة حقيقية ، لانه قوض الدعائم التي تقوم عليها اللسانيات الحديثة (٣) . ويكفي في الاستدلال على أهمية هذه المدرسة ، ومبلغ نفوذها ان الدراسات اللسانية اليوم ، أما ان تكون مهتدية بمبادئها ، أو انها تجعلها النقطة التي تبتداء منها لتبرر اختلافها عنها ان اختلفت (٤) .

وبما ان جميع اللسانيين - في القرن العشرين - يقرون بان اللغة عبارة عن نظام من العلاقات ترتبط فيما بينها في علاقات عضوية من التوافق ، أو الأختلاف ، تبدأ من الكلام ، الى الجملة ، الى الكلمة ، وحتى تنتهي الى السمة المميزة لأصغر وحدة صوتية في اللغة ، كالجهر والهمس (٥) .

فهذا ما جعل (جان بياجيه) يطلق على نظرية تشومسكي اسم (البنيوية التحويلية) ، مؤكداً أن اهتمام تشومسكي بالجملة وحدها ، او بالطابع الأبداعي للغة ، لا ينفي عن نظريته الصبغة البنيوية العامة (٦) .

وسواء سلمنا بهذا الاطار البنيوي لنظرية تشومسكي ، او انكرنا عليها أي اثر لبنيوية ، فالذي لا شك فيه ان هذه النظرية تمثل مرحلة مستقلة في تاريخ اللسانيات . وهي في حقيقتها نظرية نقدية ، لا يمكن فهمها الا على ضوء موقف تشومسكي من البنيوية في صورها السابقة (٧) .

(١) ينظر : نظرية تشومسكي اللغوية - ١٣ ، ومنهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث - ٤٤ .

(٢) نظرية تشومسكي اللغوية - ١٣ .

- (٣) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث - ١٠٩ .
- (٤) ينظر: جوانب من نظرية النحو - مقدمة المترجم - ٥ .
- (٥) ينظر: العربية وعلم اللغة البنيوية - ٧ .
- (٦) ٨١-٨٢٠ . Piaget ,Jean ,Structuralism P.P .، نقلاً عن العربية وعلم اللغة البنيوية - ٧ .
- (٧) ينظر: مشكلة البنية - ٧٠ ، والعربية وعلم اللغة البنيوي - ٨ .

غير انه يمكن القول ، ان نظرية تشومسكي قد أعادت صياغة كثير من افكاره، ومبادئ اللسانيات البنيوية على وفق فلسفة جديدة ، لا شك اصلتها ، وجديتها ، ومع ذلك فإن هذه النظرية تتصل باسباب غير مباشرة باللسانيات البنيوية ، يدل على ذلك ان تشومسكي عندما حاول وضع قواعد جديدة لم يبتعد كثيراً عن مفاهيم البنيوية . فكانت قواعد وتحليلاته ولا سيما في كتابة الأول ((البنى النحوية)) قواعد وتحليلات بنيوية في اساسها ، قائمة على التحديث الثنائي للعناصر اللغوية (١) .

وتجب الإشارة الى ان اللسانيات العربية انقسمت على نوعين : اللسانيات البنيوية والتي تمثلت في جهود الرواد المصريين ، الذين أوفدوا الى الجامعات الأوروبية والأمريكية . واللسانيات التوليدية ، بدأت مع جهود المغاربة الذين توجهوا نحو افكار المدرسة التوليدية التحويلية . وهذا النوع بدأ في بداية السبعينيات (٢) .

غير ان ما حدث باللسانيات العربية ، من انفصال بين اتجاهين في البحث اللساني لا يمكن قياسه لما حدث في الغرب من انتقال منهجي من اللسانيات الوصفية الى اللسانيات التوليدية . فما حدث في اللسانيات العربية مختلف تماماً ، اذ تشكلت لسانيان بنيوية وصفية عربية في سياق معرفي ، وتاريخي مختلف عن السياق المعرفي والتاريخي الذي عرفته اللسانيات الوصفية الغربية وفي المقابل فان التوليدية العربية لم تنشأ بوصفها مذهباً معارضاً للوصفية العربية ، بل انها نشأت منفصلة تماماً عما أنتجته الجهود اللسانية في المشرق العربي ، فكانت جهداً منقطع عما سبقها (٣) . أذن فاللسانيات التوليدية العربية بدأت في بداية السبعينات من هذا القرن .

أسباب نشأة التوليدية :

لقد كان تشومسكي عارفاً بالسلبيات والايجابيات السائدة في البحوث اللسانية في الثلاثينيات والأربعينيات ، ولا سيما في اعمال البنيويين السلوكيين ، وعلى رأسهم بلومفيلد (

واتباعه كما كان تلميذاً لـ ((زيلج هاريس)) ، وقد افادَ من هذه الصلة وتلك (التلمذة) افاد من الأولى بالتخلص من مبادئ بلومفيلد في عمومها لعجزها عن الوفاء بحاجة البحث اللساني الدقيق الذي يصل بنا الى تأسيس علم دقيق ، له سمات الاستقلال والعمومية والتجريد ، وأفاد من الثانية (تلمذته لهاريس) اذ أخذ من عمله .

-
- (^١) ينظر: العربية وعلم اللغة البنيوية - ٨ .
(^٢) ينظر: نشأة درس اللساني العربي الحديث - ٣ .
(^٣) ينظر: نشأة درس اللسان العربي الحديث - ٣-٤ .
(^٤) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد - ١٢٥ .
(^٥) ينظر: قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين - ١٦٨ .

نقطة انطلاق مع تعميق وتشعيب الأمر الذي جعله في النهائية مستقلاً عنه ، أو قل مخالفاً له أيضاً (^١) . لقد رأى تشومسكي ان درس اللساني يركز على وصف السطح اللساني ، كما هو ، بمقاييس المنبه أو الاستجابة وهذا يعني اللساني يكاد يعامل الإنسان بوصفه (آلة) تتحرك حسب قوانين تحددها مواقف معينة، وما على الباحث اللساني ألا ان يطبق إجراءات معينة للكشف عن هذا السلوك الانساني ، وعلية فأن النحو الوصفي عموماً وكما تمثله مدرسة (بلومفيلد) خاصة ، لا تقدم الا هذه الانماط الشكلية من خلال إجراءات الاستكشاف ، كما اسمها تشومسكي وهذا يعني فكرة العلمية والموضوعية عند الوصفيين لا تقدم شيئاً يتصل بلأنسان بكونه انساناً وانما تسعى الى وصف الألي خشية السقوط في التأويلات الميتافيزيقية (^٢) .

هذه الأسس فرضت على تشومسكي ان يتخطى هدف الوصف للغة باتجاه تفسيرها

وتحليل تركيب البنية اللغوية وتحولها من بنية الى بنية اخرى بالاستناد الى حبس المتكلم ومعرفته الضمنية بقواعد لغته فهذه المعرفة خاصة هي التي يصر تشومسكي على دراستها .

فمتكلم اللغة برئيه هو موضوع الدراسة اللسانية من حيث ، هو قادر على انتاج عدد لا متناه من الجمل (^٣) .

أسس الأختلاف بين النظرية الوصفية ، والنظرية التوليدية :

يمكن ان نحدد نقاط الافتراق بين الوصفية والتوليدية بما يأتي :
١- لقد اتخذت الوصفية البنيوية منهجاً سلوكياً متأثراً بالفلسفة السلوكية وهذا يعني ان الوصفية نظرت الى اللغة على انها سلوك كلامي متأثر بالعوامل الخارجية التي تحيط بالإنسان .

فكل نطق صوتي ، هو أستجابة لأثارة خارجية محيطية . بينما نظرت التوليدية الى اللغة على انها قدرة فطرية مناسبة للإنسان وحدة ، لذلك ينبغي على التحليل اللساني ان يصف ، ويشرح تلك المقدره بوسائل فكرية ، ونفسية وبيولوجية لمعرفة طبع اللغة ، وفعاليتها لذا يرى تشومسكي ان أي منهج يحاول ان يشرح هذه القدرة اللسانية بمصطلح سلوكي خارجي فقط ، إنما هو غيب ، وإماتة للخلق اللغوي الامتاهي (٤) .

٢- تتخذ الوصفية (الوصف) وحده منهجاً للدراسات اللسانية ، فقد كان هم الوصفية جمع مواد لغوية ووصفها وصفاً خارجياً فقط . أما النظرية التوليدية فهي نظرية تفسيرية لا تكتفي بالوصف يقول تشومسكي (يمكن ان نقول ان النحو الذي يقترحه اللغوي هو نظرية تفسيرية تقدم تفسيراً لحقيقة ان متكلم اللغة المقصود سيفهم ، أو يفسر أو يصغوغ أو يستعمل تعبير معين بطرق معينة وليس بطرق اخرى كما يمكن البحث عن نظريات تفسيرية اكثر عمقاً فالتكلم الأصلي يكتسب نحواً معيناً على اساس ادلة مقيدة ومشوّهة ، بينما يعتمد النحو على نتائج تجريدية تمتد الى خارج نطاق الأدلة) (٥)

٣- لا تعير المدرس الوصفية المتكلم اهتماماً في صوغ آرائها اللسانية ، بل تكتفي بوصف الكلام وصفاً موضوعياً وتجريبياً (٦) .

(١) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد -١٢٥ - ١٢٦ .

(٢) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث -١١٢ .

(٣) الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) -١٢ .

(٤) ينظر: قضايا اساسية في علم اللسانيات الحديث -١٠٧- ١٠٨ .

(٥) اللغة والعقل -٣٩- ٤٠ .

(٦) ينظر: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) -١٢ .

أما النظرية التوليدية فموضوعها الأساس هو (انسان متكلم مستمع مثالي) تاب لبيئة لغوية متجانسة تماماً ، ويعرف لغة جيداً ويهدف تشومسكي من وراء ذلك الى وضع قواعد نموذجية ، أو مثالية للغة الإنسانية أو الطبيعية في جملتها (١) .

٤- تتخذ المدرسة الوصفية الكلام المنطوق منهج للدراسة في وضع نظرية لغوية اما النظرية التوليدية فقد رفضت الأكتفاء بالكلام الفعلي وحده، فأن وصف الكلام المنطوق ، أو وصف عينة منه ، عاجز تمام العجز عن الوصول الى قواعد اللغة ، تلك القواعد التي تشبه المصدر الدائم العميق ، الذي يستمد منه الإنسان كلامه ، أو جملة الصحيحة (١) . لذلك التزم تشومسكي بالمنهج العقلي الذي يعد اللغة تنظيمياً عقلياً فريداً من نوعه ، تستمد حقيقتها من انها أداة للتعبير والتفكير الإنساني (٣) .

٥- تستمد النظرية الوصفية في وصفها الى (الاستقراء) والذي يعني : وصف اللغة انطلاقاً من

ملاحظة القضايا اللغوية وتصنيفها واستقصاء قواعدها(٤) . فالوصفية منهج تجريبي تعتمد على

ذكاء عالم اللسانيات وخبرته في التحليل اللساني (٥) .
بينما رفضت النظرية التوليدية اتخاذ (الاستقراء) منهج في دراستها ، وذلك لان هذا الأسلوب ينطلق من الواقع اللغوي الى النظرية اللسانية . فهذا يعني انه لا يشرح اللغة من الداخل ، بل يصفها وصفاً خارجياً فقط (٦) . فقد اتخذ تشومسكي منهج (الاستنباط) في دراسة اللغة عن طريق وضع انموذج يفسر القضايا اللغوية التي يمكن ملاحظتها وان يدرس العلاقات القائمة فيما بينها وينطلق الاستنباط من المقدمات المنطقية الأولية ، والمباشرة والمفترضة صحتها وصوابها للتوصل الى التحقق من النتائج الحاصلة (٧)

. وبناءاً لذلك تتخذ التوليدية الخطوات الأتية في دراستها :

- أ - وضع فرضية لغوية ، وتجريبها على مواد لغوية معينة .
- ب - تطبيق الفرضية اللغوية وتجريبها على مواد لغوية معينة .
- ج - إعادة صياغة الفرضية اللغوية ، إذا دعت الحاجة الى ذلك .
- د - تثبيت الفرضية اللغوية في حال مناسبتها للمواد اللغوية (٨) .

(١) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد -١٦٢-١٢٧ .

(٢) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد-١٢٨ .

(٣) ينظر: المصدر السابق -١٢٧ .

(٤) ينظر: الألسنة (علم اللغة الحديث) المبادئ الأعلام -١٥٧ .

(٥) ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث-١٠٩ .

(٦) ينظر: المصدر السابق -١٠٩ .

(٧) ينظر: الألسنة (علم اللغة الحديث) المبادئ الأعلام -١٥٩ .

(٨) ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث-١٠٩-١١٠ .

إذن ، فالنظرية التوليدية تبدأ من الذهن البشري الى الواقع اللغوي ، على عكس الوصفيين ،
لثلاثم بين ما هو ذهني فكري، وما هو واقعي لغوي (١).

ويتبين لنا ، ان النظرية التوليدية لا تنكر التعامل مع المنطق ، ولكنها تتعامل معه في استعمالها قضاياها ، على الصعيد المنهجي فقط ، وفقاً لمتطلبات بناء النظرية اللسانية .
فاللساني يضع الإنموذج اللغوي الذي يشير الى عمل اللغة الإنسانية فقط ، بهدف وصف السلوك الكلامي وتحليله (٢) . إذن فالنظرية التوليدية جاءت معارضة لفكرة ((الوصف)) وهي في ذلك تشبه النحو الفلسفي الذي تطور من تقابل واع مع تقليد وصفي فسر مهمة اللساني بأنها مجرد تسجيل وتنظيم معلومات الاستعمال (٣).

فقد رفض تشومسكي التقابل الذي افترضه الوصفيون بين المعيارية والوصفية . يقول (ما من شك في ان الفهم المغلوط بمسألة التفسير العقلي هو الذي يؤدي الى توجيه تهمة المعيارية للنحو الفلسفي . فقد أوضح مراراً وتكراراً بان حقائق الاستعمال ثابتة ، وأن عمل النحوي لا يشمل وضع القواعد فالأختلاف ، إذن ليس من النحو الوصفي والنحو المعيارى ، بل بين الوصف والتفسير) (٤).

من هذا المنطلق فإن فكرة ارتباط الوصف بالعلمية والموضوعية تحتاج الى بيان يصحح حقائق اللسانية ، فحين يفترض الوصفيون ان الوصف هو المنهج الوحيد الصالح للدراسة اللغوية دراسة علمية دقيقة، يدخل في تأويلهم الخاص للظواهر اللغوية ، وهو تأويل باللغة نفسها التي هي موضوع الوصف . فهذا يعني ، أننا في أثناء عملية الوصف ، نستعير بشكل سابق لهذه العملية، رموز لغوية موجودة أصلاً في أذهاننا ، وهو ما صرح به دي سوسير حين قال ((إن وجهة النظر التي تخلق الموضوع)) (٥) . لذلك لا يمكننا ان ننتع واصف اللغة بالمحايد إذا استعمل وسائل من اللغة نفسها لوصف اللغة ، ولذلك لا ينبغي القول بموضوعية الوصف ، ومعاييريه سائر المنهج . وهذا ما حدا للسانيات التوليدية على عد اللغة نشاطاً عقلياً معقداً يدق على الوصف ، ويستلزم تفسيراً ما ينتظم وحداته من علاقات متشابهة ، وقد كان ذلك هو المنطق الذي استند إليه النحو التوليدي في مبادئه (٦) .

- (١) ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث المصدر السابق - ١١٠ .
(٢) ينظر: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربي (النظرية الألسنية) - ١٠ .
(٣) ينظر: نشأة درس اللساني العربي الحديث-٨٢ .
(٤) اللغة والعقل -٢٥-٢٦ .
(٥) علم اللغة العام -١٢ .
(٦) ينظر: نشأة درس اللساني العربي الحديث-٨٣ .

الأصول النظرية عند تشومسكي :

إن اطلاق تشومسكي على كثير من العلوم ولا سيما الفلسفة وعلم النفس جعله يفتح نوافذ بعضها اغلقته عواصف الحداثة المتوحشة برداء استقلال اللغة وموضوعيتها . وبعض اخر لم يفتح لقصور الدرس اللغوي عن بيان افكاره الرئيسية في الغرب . فقد تأثر تشومسكي بأراء المدرسة الفلسفية العقلانية التي سادت القرن السابع عشر ، التي كان الفيلسوف (ديكارت) . من أشهر اعلامها ولذلك كانت آراؤه عن طبيعة اللغة عنيفة للغاية ومناقضة تماماً للسطحية التي تميزت بها آراء اسلافه المباشرين في النصف الأول من القرن العشرين (١) .

إذ وجد تشومسكي في آراء (ديكارت) عن (العقل) ما يمكن أن يعطي (الشكلية) التي طبعت الدرس اللغوي ظللاً تجسد فيه الملامح الحقيقية لبنية اللغات ، التي يمكن بها تشخيص المعايير اللغوية لغرض الاحاطة بها . فرجوع تشومسكي الى المبادئ الديكارتية ليست في الحقيقة نابعة عن رغبة لدية في أحياء القديم ، أو التمسك بالتقليد ، بل يمكننا القول أن تطور الألسنية الذاتية هو الذي قاده باتجاه الإقرار ببعض المفاهيم الفلسفية الأساسية ، بعد تتصل الألسنية البنوية الوصفية عنها (٢) .

بهذا عد تشومسكي من مسلك العقلانيين الذين يرون أن العقل الإنساني هو وسيلة المعرفة على النقيض من الوصفيين الذين ينتمون إلى التجريبيين ، ممن يرون أن الوصول إلى المعرفة يتم عن طريق التجربة (٣) .

فقد تأثر تشومسكي بفكرة (ديكارت) بأن الحيوان آلة ويمكن تفسير كل مل يصدر عنه تفسيراً آلياً ، أما الإنسان فيختلف عن الحيوان اختلافاً جوهرياً ، إنه ليس آلة ، ومن ثم لا يخضع للتفسير الآلي ، فالإنسان عند ديكارت قادر على اللغة ، والحيوان عاجز عنها (٤) .

وهذا المنهج الديكاتري في التفريق بين الحيوان والإنسان هو الذي أصل فكرة الجانب الخلاق في اللغة، وهذه الفكرة بدأت أكثر وضوحاً ، ورسوخاً عن المفكر الألماني (همبولت) ، فهو يؤكد أن اللغة هي (عمل العقل) ولما كانت اللغة هي عمل العقل ، فإن هناك دائماً عوامل تكمن تحتها) ، أي ليست على السطح ، وهو ما أوضحه تحت ما أسماه (شكل اللغة)

فيقول أن هناك شكلاً خارجياً (ألياً) وشكلاً داخلياً (عضوياً) ، والشكل الداخلي العضوي هو الأهم ، لأنه يتطور من الداخل ، وهو الأساس في كل شيء أو هو البنية العميقة لما يحدث بعد ذلك السطح^(٥).

لذا يعد تشومسكي (اللغة) ، في هذا الفهم العقلي ، تنظيمياً عقلياً فيداً من نوعه تستمد حقيقتها بحيث إنها أداة للتعبير والتفكير الإنساني الحر ، بل لا تخضع اللغة ، في استعمالاتها الطبيعية إلى حافز خارجي ، ولا إلى أي حالة داخلية يمكن تحديدها بصورة مستقلة ، كما أنها ليست عادات كلامية أو عملاً لا إرادياً^(٦).

-
- (١) ينظر: اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة-١١٣-١١٤ .
(٢) ينظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام -٢٦٦ .
(٣) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث-١١٨ .
(٤) ينظر: تشومسكي فكرة اللغوي وآراء النقاد فيه -٥٣ .
(٥) ينظر: المصدر السابق -٥٣ - ٥٤ .
(٦) ينظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام - ٧٤ - ٧٥ .

بناءً لهذا رفض تشومسكي النظر على اللغة بوصفها مجموعة من الظواهر المنفصلة

- كالكلمات والأصوات وكلام الأشخاص - ولكن بوصفها (نظاماً عضوياً) تتداخل فيه كل الأجزاء ، ويؤدي فيه كل جزء دوره وفقاً للعمليات (التوليدية) التي تكون البنية العميقة^(١).

كما فتحت ثورة تشومسكي طرقاً جديدة أمام علماء النفس التقليديين ، وأمام المناهج النفسية القديمة ، وفهمها للطبيعة النفسية للغة . كما أثبتت هذه الثورة اللسانية أيضاً أن العلاقات القائمة بين علم اللسانيات ، وعلم النفس هي علاقة وشيجة مثمرة . كما ان المفاهيم التي جاءت بها هذه الثورة أظرت ونظرت طرقنا في التحليل والتفكير تجاه الظاهرة اللغوية ، فهي لم تنظر إلى الظاهرة اللغوية نظرة الخلف للسلف ، أو نظرة تقليدية موروثة^(٢) . بهذا ندرك بدقة أن تشومسكي كانت له معرفة جيدة بالسلبيات ، والأيجابيات السائدة في البحوث اللغوية في الثلاثينيات ، والأربعينيات ، ولا سيما في أعمال البنيويين والسلوكيين ،

وعلى رأسهم (بلومفيلد) فخط لنفسه ، وللدارسين من بعده خطة توصله إلى تصحيح المسار في الدرس اللغوي ، وتخلصه مما وقع فيه غيره من نقص أو قصور^(٣) .
وينبغي أن نبيّن أن نظرية تشومسكي لم ترفض ما جاء به البنيويون برمته ، بل أقرت بالجهود التي قام بها علماء اللسانيات البنيويون ، ولكنها في الوقت نفسه حددت الوصف البنيوي للغة ، واقرحت أساليب جديدة لتصحيح الخطأ الذي وقع فيه البنيويون^(٤) .
والحقيقة أن ما قدمه تشومسكي من أصول نظرية لم ينشأ من عدم ، بل كانت له جذوره في كتابات الوصفيين على رغم من نقده العنيف لهم^(٥) . فقد كان وثيق الصلة بأعمال (بلومفيلد) واتباعه ، كما كان تلميذاً لـ (هاريس) وقد أفاد من هذه الصلة ، وتلك (التلمذة) ، أفاد من الأولى بالتخلص من مبادئ بلومفيلد في عمومها لعجزها عن الوفاء بحاجة البحث اللغوي الدقيق الذي يصل بنا إلى تأسيس علم دقيق له سمات الاستقلال ، والعمومية ، والتجريد ، وأفاد من الثاني (تلمذته لهاريس) إذ أخذ من عمله نقطة انطلاق مع تعميق ، وتشعيب الأمر الذي جعله في النهاية مستقلاً عنه ، أو قل مخالفاً له أيضاً^(٦) .
ونتيجة لتبني تشومسكي هذه الأصول العقلية ، جعلته يرفض آراء المدرسة السلوكية الوصفية، أخذاً عليه ان فكرة (الاستقلال) الدرس اللغوي ، و (علميته) لا تقدم شيئاً يتصل بالإنسان بكونه إنساناً ، وإنما تسعى الوصفية تحت شعار (العلمية) إلى وصف الآلي خشية السقوط في التأويلات الميتافيزيقية . فالإنسان عند تشومسكي ليس هذه الآلة ، فهو لا يختلف عن الحيوان بقدرته على التفكير والذكاء فحسب ، ولكنه يفترق عنه بقدرته على اللغة ، ولا شك عنده في أن اللغة هي أهم الجوانب الحيوية في النشاط الإنساني^(٧) .

(١) ينظر: تشومسكي فكرة اللغوي وآراء النقاد فيه - ٥٤ .

(٢) ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث - ٨٦ .

(٣) التفكير اللغوي بين القديم والجديد - ١٢٥ .

(٤) ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث - ٨٧ .

(٥) ينظر: المصدر السابق - ١٦٨ .

(٦) التفكير اللغوي بين القديم والجديد - ١٢٥ - ١٢٦ .

(٧) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث - ١١١ - ١١٢ والألسنية (علم اللغة الحديث)

المبادئ والأعلام - ٢٦٥ - ٢٦٦ .

وقد توصل تشومسكي في تفرقه بين الإنسان والحيوان من ناحية اللغة الى فكرة تسمى (الفطرية اللغوية) في ذهن الإنسان ، يميز بها بين الإنسان والحيوان ، فالإنسان غير السوي

فضلاً عن الذكي القادر يستطيع انتاج جمل والتعبير عما في نفسه ، في حين أن اكثر الحيوانات لا تستطيع ذلك مما جعل تشومسكي يزداد تمسك بهذه الفكرة في نظريته^(١)

وقد استدل تشومسكي على هذا بان الطفل يمتلك قدرات فطرية تساعده على تقبل المعلومات اللغوية ، وعلى تكوين بنى اللغة خلالها . وهذا يعني انه مهياً بطريقة ، أو باخرى ، لان يكون قواعد لغته الأم من خلال الكلام الذي يسمعه ، وأن يمتلك بطريقة لا شعورية القواعد التي تكمن ضمن المعطيات التي يتعرض لها^(٢) .
ويمكن ان نفهم ان النمو اللغوي عند الطفل في وجه نظر تشومسكي يعني ما يأتي :
١- ان أي طفل يولد يكون مزود بجهاز فطري عقلي يمكنه الاستنباط قواعد لغته الخاصة به من استعمال المحيط الآتي للغة .

٢- ان أي طفل يكون مزود بمادة لغوي عامة وكلية ، وعملة المتميز هو تحديد خصائص لغته التي يتكلمها .
٣- ان عملية اكتساب اللغوي لا تستند الى الذكاء اساس لها ، اذ يستطيع اشد الناس غباء ان يعبر عما يريد ، بغض النظر عن سطحية المعنى أو عمقه في حين لا نجد ذلك عن بهيمة عالية الذكاء^(٣) .

هذه الفرضية (الفطرية اللغوية) عند تشومسكي ، تمثل حجر الأساس يعتمد عليه المبنى النظري كلياً ، وقد قادته هذه الفرضية الى فرضية اخرى تتعلق بها وهي ان هذه الفطرية الذهنية قائمة على عدد من الكليات النحوية (القواعد الكلية) التي تقوم بضبط الجمل المنتجة تنظيمها بقواعد ، وقوانين لغوية عامة تخضع لها الجمل التي ينتجها المتكلم يختار ما يتصل بلغته من قوالب وقواعد من بين الأطر الكلية العامة في ذهنه ، التي هي كلية شمولية عالمية ، متساوية عند بني البشر تكون في الإنسان منذ ولادته ، ثم يقوم بملئها بالتعبير اللغوية من المجتمع الذي يعيش فيه ، فتنضج وتقوى بالتدريج ، وكلما اكتسب الإنسان ما يملئ به هذه الكليات الفطرية، ازداد النمو الداخلي التنظيمي للقواعد الكلية في ذهنه في جزئيه منها ، وهي تلك المسؤولة عن بناء الجمل وتركيبها في لغته ، فتتكون لديه القدرة على توليد الجمل وبنائها^(٤) .

حتى اصبح الموضوع الأساس في الدراسة اللغوية عن تشومسكي هو (المعرفة) التي يمتلكها اباء اللغة ، التي تمكّنه من انتاج الجمل وفهمها . وهذه المعرفة تسمى (القدرة) بينما رفض تشومسكي ان دراس اللغة طفلاً كان او راشد يبدأ بتعلم اللغة وذهنه صفحة بيضاء ينقش عليها النماذج اللغوية التي يتعلمها وعند الحاجة يلجأ الى ذلك المخزون ويختار النماذج التي تتناسب المقام ، وانما ذهب الى ان الطفل يكتسب لغة الأم عن وعي وأدراك حتى في سنه المبكر وانه حال ما يستوعب القواعد المختلفة التي تعتمد عليها اللغة تتكون عنده القدرة على الخلق ، أي على تركيب الجمل المختلفة التي يريدتها في الوقت والظرف المناسبين ، من دون ان يكون بالضرورة قد سمع تلك الجمل وحفظا ممن حوله ، بل ذهب الى ابعاد من ذلك ، وقال بان الطفل لا يولد وذهنه صفحة بيضاء ، بل يولد ولديه قدرة فطرية على تعلم أي لغة من لغات العالم^(٥) .

(١) في نحو اللغة وتراكيبها - ٥٥ .

(٢) ينظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام - ٢٦٢ .

(٣) ينظر: المنهج التوليدي والتحويلي - دراسة وصفية وتاريخية - ٢٠ .

(٤) في نحو اللغة وتراكيبها - ٥٦ .

(٥) ينظر: تشومسكي فكرة اللغوي وآراء النقاد فيه - ٦٦، وأضواء على الدراسات اللغوية

المعاصر - ١١٩ .

ونظرا لشمول نظرية تشومسكي عموم البشر مما جعلته يشترط لبناء نظريته ثلاثة أصول وهي ما يأتي :

١- الدقة العلمية . وبها تعرف الجمل النحوية التي ينبغي على المتكلم ان يبقيها .

٢- الشمولية العالمية . وبها يقرر ما هو لغوي بشكل عام ، وما هو ليس كذلك .

٣- البساطة اللغوية . وينبغي على النظرية ان تشرح المادة اللغوية بشكل بسيط غير معقد (١)

وهذا يعني أن تشومسكي يسعى الى اقامة (نظرية عامة) للغة تصدر عن اتجاه عقلي ، وهذه النظرية تبنى على ما يمكن تسميته بـ (لا نهائية) اللغة ، إذ يرى أن كل لغة تتكون من مجموعة محدودة من الأصوات ، ومع ذلك فإنها تنتج أو تولد جملا لا نهائية لها (٢) .

من هذا ندرك ان اللغة خلاقة بطبيعتها أي ان كل متكلم يستطيع ان ينطق جمل ان يسبق ان نطقها احد من قبله ، كما يستطيع ان يفهم جملاً لم يسبق ان سمعها من قبل .

لذا تتوجه هذه النظرية الى الإنسان صاحب اللغة او الى ما يسميه

تشومسكي

بـ(المتكلم السامع المثالي) - Ideal . Speaker-Hearer - في مجتمع لغوي متجانس

يعرف لغته معرفة كاملة . وهذا الشرط ضروري ، لان الهدف هو معرفة القوانين

الإنسانية التي تجعل الإنسان يتمايز بهذه (القدرة) على اللغة (٣) .

بهذا يتبين لنا ان اساس النظرية عن تشومسكي هو (إنسان متكلم - مستمع مثالي)

تابع لبيئة لغوية متجانسة تماماً ، ويعرف لغة جيداً ، فيستطيع بصورة عفوية صياغة

عدد لا نهاية لها من الجمل تمكنه من التعبير عما يريد بجمل جديدة ربما لم يسمعها ،

وهو يبغى إلى وضع قواعد نموذجية أو مثالية للغة الإنسانية في جملتها (٤) .

هذه الاسس العقلية والنفسية التي أستند اليها تشومسكي في بناء نظريته اللغوية التي

تتلخص في ان كل متكلم يستطيع ان ينطق جملاً لم يسبق ان سمعها او نطقها من قبل

. فرضت على تشومسكي ان يتوقف أمام فرضيتين وهما :

١- هل ان القدرة الخلاقة عند الإنسان التي تصدر جمل لم يسمعها او ينطقها من قبل

صادره عن وعي وفكر أو صادره بلا وعي وفكر ؟ .

٢- كيف يتم الفصل بين الجمل الصحيحة لغوياً عن غيرها غير الصحيحة ، مع العلم بان

القدرة على انتاج الجمل غير محددة .

هنا نجد ان تشومسكي قد تجاوز هذين العائنين ، بما تبناه في نظريته اللغوية إذ أشار الى مصطلحين لدرء الاعتراض وهما :

أولاً - الإبداع او القدرة الأبداعية (CREATLVLTY) . فهي نتيجة من نتائج التقريـق بين الإنسان والحيوان ، فهي القدرة التي تجعل ابناء اللغة الواحدة قادرين على انتاج وفهم عدد كبير غير محدود من الجمل التي لم يسمعوها قط ، ولم ينطق بها احد من قبل .

وهذه القدرة او الطاقة انما هو تحكم غير واع ، وبلا اعمال فكر ، فهو لا يلقي بالاً إلى عملية تطبيق القواعد النحوية سواءً عندما يكون او يبني جملاً جديدة لم يسمعها قط من قبل ^(٥) .

-
- (١) ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث - ٩٠ .
(٢) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث - ١١٣ - ١١٤ .
(٣) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث - ١١٤ - ١١٥ .
(٤) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة - ١١٥ ، والتفكير اللغوي بين القديم والجديد - ١٢٦ .
(٥) ينظر: نظرية تشومسكي اللغوية - ٥٧ .

ويمكن تحديد الإبداعية للغة بالميزات الآتية :

- ١- ان الاستعمال الطبيعي للغة هو استعمال تجديدي .
 - ٢- ان هذا الاستعمال لا يخضع سيطرة الحوافز ، ويفضل هذا تحرر من سيطرة الحوافز تستطيع اللغة ان تعمل أداة من ادوات الفكر والتعبير عن الذات .
 - ٣- التماسك بين الاستعمال اللغوي وظروف المتكلم ^(١) .
- فاللغة تبعاً لهذه الإبداعية ، هي نتاج ثقافي خاضع لمبادئ تختص بها بصورة كلية من جهة ومن جهة اخرى تعكس اللغة الخصائص العامة لفكر المنتفعين بها . فهي نتاج وصنع في أن ماً ، وهي ايضاً عمل عقلي يتجدد باستمرار ^(٢) .
- بهذا يتضح ان الإنسان يمتلك معرفة ضمنية بقواعد لغته تتيح له انتاج عدد غير محدود من الجمل المفهومة استناداً الى محدد من القواعد ، وعملية الإنتاج هذه ابتكار لا يستطيع السلوكيون تفسيره بالمثير والاستجابة ^(٣) .
- فهذه السمة الإبداعية تمثل مخزناً لا نفاذ له للإنسان من جمل وعبارات مخزونة يستعمل منها ما يشاء وقت ما يشاء دون تكلف ظاهر في كل زمان ومكان ^(٤) .
- ثانياً - الحدس اللغوي . هو مقدرة المتكلم على التمييز بين جملة صحيحة نحويّاً عن جملة غير صحيحة يسمعها من ابن لغته ^(٥) .

وذلك لان كثيراً من الجمل التي ينظر اليها عالم اللغة على انها جمل صحيحة نحوية ، بمعنى انها مركبة تركيبياً نحويّاً صحيحاً طبقاً للقواعد التي تصف قدرة المتكلم المثالي من ابناء اللغة ، وهذه الجمل لا تحدث (عفويّاً) والدليل أننا لو حاولنا عملاً بنائها لإجراء بعض التجارب اللغوية ، فسنجد صعوبة في ذلك ، وهذا يرجع الى عمليات نفسية وعصبية تتدخل في استقبال الكلام وفهمه ، وهذا ما يفسر الاختلاف في الجمل^(٦) . وهذا ما حدا بتشومسكي على جعل الحدس ، هو الحاكم القاطع على مقبولية الجملة وانه دليل مستقل واصل في الحكم على الجمل^(٧) .

بل وصل تشومسكي إلى ان عبر ان حدس ابناء اللغة جزءاً من المادة اللغوية التي ينبغي على القواعد ان تفسرها ، وتعللها بل صار يعتمد على صدق هذا الحدس اكثر من ذي قبل عندما كان مهتماً لاختباره عن طريق اجراءات فنية دقيقة^(٨) .

ويناقض تشومسكي هنا البنيويين الذين يعتمدون على ما يسمى بـ (المدونة الكلامية) التي تجمع عن طرق الاستقراء بجمل قالها المتكلم لتلك اللغة وفهمها ، ولتعذر حصر أمثلة الجمل المنطوقة كلها – في لغة ما – جعل تشومسكي يلجأ الى الحدس اللغوي ويعتمده اساساً^(٩) .

-
- (١) ينظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام – ٣١ .
- (٢) ينظر: المصدر السابق – ٣٠ .
- (٣) ينظر: المنهج التوليدي والتحويلي – دراسة وصفية وتاريخية – ٢٦ .
- (٤) ينظر: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث – ٤٤ .
- (٥) ينظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام – ١٥٧ وأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة – ١٢٤ - ١٢٥ .
- (٦) ينظر: نظرية تشومسكي اللغوية - ٢١٠ .
- (٧) ينظر: المصدر السابق – ٧٩ .
- (٨) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة – ١٣٤ .
- (٩) ينظر: الألسنية التوليديّة والتحويلية وقواعد اللغة العربي – ٩٧ .

إذن ، فتشومسكي يحاول علمنة الحدس اللغوي ، وعقلنته فابن اللغة بحكمه على الجملة ، انما يستند الى معرفة ذهنية كاملة ، ونظام قواعد يسير عملية الحكم هذه^(١) . يقول تشومسكي : (ان الجمل التي يولدها نظام القواعد هذا ينبغي ان تكون مقبولة لدى الناطق بتلك اللغة)^(٢) .

بهذا يتضح الفرق الجوهرى بين تشومسكي والوصفيين ، فاللغة عند تشومسكي لا بد ان تهتم بالحدس عند المتكلم ، لانه ليس آلة تصدر اصوات تبعاً لعوامل خارجية ، وانما

هناك هذا الشيء الداخلي الذي يجعله يتحرك ، وهو متحرر من هذه العوامل ، فالحدس ليس عنصراً ثانوياً في الدرس اللغوي وإنما هو عنصر جوهري^(٣) .
وهكذا ينتهي تشومسكي إلى نظرية ديكرتية في اللغة تتعارض تماماً مع النزعة البنيوية المعاصرة ، بوصفها نزعة صورية أو (شكلية) تهتم بتحليل (نسق) اللغة المكتوبة أو المنطوقة ، يؤكد لنا إن الإنسان يبتكر لغته في كل لحظة ، وأن المهم في اللغة دائماً ، إنما هو
(الإنسان المتكلم)^(٤) .

هذه الأسس جعلت النظرية التوليدية والتحويلية تعتمد المنهج الاستنباطي في التحليل ، أي تحلل اللغة عن طريق وضع الفرضيات التي تفسر القضايا اللغوية الممكنة ملاحظتها ، التي تدرس العلاقات القائمة فيما بينها . ويكون النهج الاستنباطي وسيلة برهنة . لذلك ينطلق من المقدمات المنطقية الأولية والمباشرة المفترضة صحتها ، والمفترض صوابها ، للتوصل إلى التحقق من النتائج الحاصلة . ويبين الباحث في نطاق النهج الاستنباطي البنية اللغوية ، ومختلف العلاقات القائمة ضمنها بين عناصر اللغة ، فيضع أنموذجاً أو تفسيراً يراعي هذه العلاقات – ويتأكد عن طريق الاستنتاج ، من القضايا التي يستطيع هذا الإنموذج تفسيرها^(٥) .

إذن ، فالنظرية التوليدية ، هي نظرية (ذهنية) – MENTALISTIC – لأنها تختص باكتشاف الحقيقة العقلية الكامنة وراء السلوك^(٦) .

معايير النظرية التوليدية :

بناء على تلك الأسس التي استند إليها تشومسكي ، فإنه ميز بين ثنائيتين ، اولاهما : الكفاية اللغوية والأداء ، على مستوى اللغة . وثانيهما : البنية العميقة والبنية السطحية على مستوى الجمل .

الكفاية والأداء :

فالكفاية هي معرفة الإنسان الضمنية باللغة ، أو بالأحرى هي معرفة الإنسان الضمنية بقواعد اللغة التي تقود عملية تكلم بها^(٧) .
وبمفهوم أدق ، فالكفاية هي القدرة على إنتاج الجمل وتفهما في عملية التكلم^(٨) .

(١) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية -٢٠ ، واللسانيات وأسسها المعرفية -١٤٥
-١٤٦ .

(٢) البنى النحوية -٦٩ .

(٣) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث -١١٨ .

(٤) مشكلة البنيوية -٧٦ .

- (٥) ينظر: الألسنية التوليدية والتحويلية والقواعد اللغة العربي (النظرية الألسنية) - ٩٦ .
 (٦) جوانب من نظرية النحو - ٢٨ .
 (٧) ينظر: الألسنية التوليدية والتحويلية والقواعد اللغة العربي (النظرية الألسنية) - ٣٢ -
 ٣٣ .

(٨) ينظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام - ٤٥ ، ٢٦١ - ٢٦٢ .
 وتكون في امتلاك المتكلم - السامع ، القدرة على انتاج عدد هائل من الجمل من عدد محدود جداً من الفونيمات الصوتية ، والقدرة على الحكم بصحة الجمل التي يسمعاها من وجهة نظر نحوية تركيبية ، ثم القدرة على الربط بين الأصوات المنتجة ، وتجمعها في مورفيمات تنظيم في
 جمل (١) .

وهذا الكفاية اللغوية تتضمن القدرات الآتية :

- ١- انتاج عدد لا حد له من الجمل ، وإدراكه من الناحية النظرية .
- ٢- تمييز الجمل الصحيحة نحويًا ، وغير صحيحة .
- ٣- فهم تراكيب الجمل .
- ٤- تمييز الجمل التي يتكون بعضها صياغة جديدة للبعض الآخر .
- ٥- إستبانة الغموض (٢) .

أما الأداء فهو الاستعمال الانبي للغة ضمن سياق معين ، ويمكن القول أنه بمثابة الإنعكاس المباشر للكفاية اللغوية (٣) .

هذا يعني ان الأداء هو الكلام ، أو هو الجمل المنتجة التي تبدو في فونيمات ، ومورفيمات تنتظم في تراكيب جمالية خاضعة للقواعد ، والقوانين اللغوية الكامنة ، وهو المسؤول عن تنظيم هذه الفونيمات والمورفيمات ، فهو الوجه المنطوق للمعرفة الضمنية الكامنة باللغة (٤) .

فالكفاية اللغوية ، على هذا ، تكون عملية أدراك عقلي ، واستنتاج قواعد اللغة ، فلا يكون فيها انحراف عن القواعد ، ولا سهو ، ولا غلط بل هو امتلاك ناصية القعدة اللغوية الصحيحة ، على النقيض من الأداء الكلامي الذي قد لا يكون انعكاساً مباشراً للكفاية اللغوية ، فقد يصيب الأداء الكلامي انحراف عن القواعد نتيجة غلط ، أو سهو أو إصابة معينة (٥) . ويمكن لنا أن نسمي الكفاية اللغوية بـ (السليقة) ، فالسليقة على هذا معرفة المتكلم المستمع بلغته ، والأداء الكلامي هو استخدام اللغة ، واستعمالها المتكلم ، والمستمع في مواقف معينة (٦) .

وبناء على هذا ، فالتفريق بين الكفاية والأداء - في نظرية تشومسكي - ضرورة ، لأن هناك حقيقة هي أننا عندما نتكلم ، ولا نتكلم بطريقة نحوية ، فربما لا نكمل الجملة ، أو ننطقها ناقصة ، أو ربما نضيف أشياء غير صالحة للوصف النحوي ، ومن هنا ، فإن جملاً كثيرة لا تعد صالحة مما ينطق ، ولكن اللغوي لا يتحدها دليلاً في عمله الوصفي ، وهو يتعامل فقط ، مع الصيغ المرشدة التي يعرفها المتكلم الفطري بلغته ، كما أن التفريق بين الكفاية والأداء واجب ايضاً ، لفهم تلك النقطة الخاصة بالعدد غير المحدود من الجمل الموجودة في اللغة (٧) .

وهذا ما قاله تشومسكي (فالفرق الذي نضعه بين ... الكفاية ... والأداء ... هو فرق أساس ، وفي واقع الأمر ، فإننا لا نستطيع القول بأن الأداء هو انعكاس مباشر للقابلية
(الكفاية) إذ إنه يعكس (الكفاية) تحت الشروط المثالية) (٨).

- (١) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها -٥٧ .
(٢) ينظر: تشومسكي فكرة اللغوي وآراء النقاد فيه - ٧٠ .
(٣) ينظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والاعلام -٤٥ - ٤٦ .
(٤) ينظر: في نحو اللغو وتراكيبها -٥٨ .
(٥) ينظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام - ٤٦ - ٢٦٢ .
(٦) ينظر: النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي - ٢٣ .
(٧) ينظر: قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين -١٧٩ .
(٨) جوانب من نظرية النحو -٢٨ .

البنية العميقة والبنية السطحية :

لقد نظر تشومسكي إلى تراكيب الجمل ، وبين أن لها شكلين : البنية السطحية

- Surface Structure - ، والبنية العميقة - Deep Structure - وتعد البنية السطحية الشكل الخاص بوصف يخص الشكل الصوتي للكلمة ، بينما تقدم البنية العميقة التأويل الدلالي ، والقوانين التي توضح العلاقة بين بنيتي السطح والعمق في الجمل تسمى التحويلات النحوية (١).

معنى ذلك أن اللغة التي ننطقها فعلا ، إنما تكمن تحتها عمليات عقلية عميقة ، تختفي وراء الوعي ، بل وراء الوعي الباطن أحيانا ، ودراسة (الأداء) أي دراسة (بنية السطح) تقدم التفسير الصوتي للغة ، أما دراسة (الكفاية) أي بنية العمق فتقدم التفسير الدلالي لها (٢).

إن ، فالبنية العميقة ، هي الأساس الذهني المجرد لمعنى معين ، يوجد في الذهن ، ويرتبط بتركيب جملي أصولي يكون هذا التركيب رمزا لذلك المعنى ، وتجسيدا له ، وهي النواة التي لا بد منها لفهم الجملة ، ولتحديد معناها الدلالي ، وإن لم تكن ظاهرة فيها (٣). وهذا يعني ، أن الكلام المنطق ، أو الرموز الصوتية ، هي نتيجة عملية عقلية ذهنية تبعا لقوانين أوجدت تتابعا في فكرة معينة قامت بتفسيرها دلالياً ، بعد عمليات استندت فيها إلى الأساس الذي يتضمن تصورات مجردة ، كالفعل والهيئة والانفعال والكم - والى المعجم - الذي يضع مدلولات مناسبة لهذه التصورات المجردة مراعيًا السمة المعجمية لكل مدلول

– وبواسطة- قوانين التحويل تبدأ بإملاء التصور المجرد بالمدلول المناسب ، وبعد ان تهيأت الجملة الذهنية في البنية العميقة بواسطة قوانين التحويل الى الشكل اللغوي المنطوق او المكتوب راسمة لنا صورة صوتية ، او مدونة عن الفكرة التي جالت في نفس المتكلم لتصل بها الى السامع جملة مفهومة واضحة ، وبذلك تكون اللغة ثوباً للفكرة^(٤).

مفهوم النحو في النظرية التوليدية :

لقد كان (النحو) هو القسم الوحيد عن بقية اقسام اللغة ، الذي لم يبدأ مرحلة التطور حتى بداية القرن العشرين . وكان التقدم البطيء في (النحو) – حتى ذلك الحين – وفي العقود الأولى من القرن العشرين ، محكوماً بمظاهر ضعف ظاهرة في المنهجية . وقد كان علاج هذه المظاهر – على وجه الأجمال – أقل شمولاً ، وأقل تعقيداً الى حد كبير مما كانت عليها الحال في منهجية (الصوتيات) و (الصرفيات) ، وذلك ان ظاهرة (التركيب) قد عولجت عادة من زاوية (المعنى) وجرى تحليلها بمعايير ذاتية خضعت (للذوق اللساني) عند الباحث وبذلك فقدت التعريفات النحوية – سلفاً – اكثر عناصرها ضرورة ، وهو عنصر الدقة العلمية^(٥) .
ولم يضع الوصفيون حدوداً فاصلة بين (النحو) و (الصرف) ، بل هو يؤكدون استخدام الصيغ ذو طبيعة صرفية في الأساس^(٦) .

(١) ينظر: قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين – ١٧٩ .

(٢) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث – ١١٥ .

(٣) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها – ٥٨ .

(٤) ينظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام – ٢٦٨ النحو العربي والدس الحديث – ١٢٤ والبنوية في اللسانيات – ٣ ، ونظرات في النحو التحويلي – ٤٢ ضمن (آفاق عربية) – ع – ١٩٩٩ .

(٥) ينظر: اتجاهات البحث اللساني – ٣٧٧ .

(٦) ينظر: المصدر السابق ٣٣٨ .

وقبيل عام (١٩٦٠) دخل (النحو الحديث) اهم مراحل تطوره ففي ذلك الحين ، اسس النحو (التوليدي) – General . Grammar – وقد وضع هذا المصطلح ، لكي يؤكد مثل هذا النحو يقصد به الكشف عن القواعد الحاكمة على بنية الجمل ، وتراكيبها^(١) .

وقد قام النحو التوليدي ، على اساس الإعتقاد ، بان على النحو ، اذا كان كفتاً ان يزودنا بقاعدة تفسر لنا : كيف تستعمل الجمل ؟ وكيف تفهم ؟^(٢) .

بناء على هذا ، فاللغة عند تشومسكي (مجموعة محدودة ، أو غير محدودة من الجمل ، كل جملة فيها محدودة في طولها . قد أنشأت من مجموعة محدودة من العناصر)^(٣) .

أما (النحو) عند تشومسكي ، فهو (المبادئ والعمليات التي بها تبني الجمل في اللغات المختلفة وتهدف الدراسة النحوية ... الى بناء نظام للقواعد) (٤).

مفهوم القواعد :

يعني تشومسكي بـ(القواعد) ، بانها مكنة ، أو آلة مولدة تستطيع ان تولد كل الجمل النحوية ليس إلا . هذه القواعد ينبغي ان تعطي وصفاً تركيبياً صحيحاً لكل جملة مركبة (٥).

وقواعد أي لغ تكون وصفاً لقابلية المتكلم – السامع المثالي ، بل انها تقدم تحليلاً تفصيلياً لما يسهم به هذا القارئ فانها تسمى حين اذن بـ(القواعد التوليدية) (١).
فلقواعد التوليدية عند تشومسكي ، تعني (نظام من القوانين التي تعطي بشكل واضح ومحدد اوصافاً بنوية ... ومن الواضح ان آراء المتكلم ، او كلامه عن سلوكه ، وقابليته قد تكون خاطئه . وهكذا فان القواعد التوليدية تحاول تعيين ما يعرفه المتكلم ، وليس ما يقوله من معرفته تلك ... وان القواعد التوليدية ليست انموذجا – Model - للمتكلم ، او السامع، اينما هي تحاول ان تصف باكثر الطرق حيادية ، المعرفة اللغوية التي تكون الأساس للإستخدام الفعلي للغة من قبل المتكلم – السامع -) (٧).

ويؤكد تشومسكي ان القواعد التوليدية يجب ان تطابق الحقيقة اللغوية ، وهما يمكن تسميته بـ(الملائمة الخارجية) فضلا عن (الملائمة الداخلية) ، أي : قدرتها على بناء نظام ذي كفاية تفسيرية تستطيع النظرية اللغوية بها على انتقاء قواعد ما على القواعد الأخرى ، بناء على مادة لغوية تتسجم معها تلك القواعد كلها (٨).
فالنحو (Syntax) من اللغة هو بمثابة القلب في جسم الإنسان اما كلمة (قواعد Grammar) فهي عنده تشمل النحو اضافة الى الصرف والصوت والمعاني فهي بهذا اصطلاح شامل جداً من جميع القواعد التي لها علاقة بجميع وجوه اللغة المختلفة (٩).

(١) ينظر: المصدر السابق – ٣٧٩ .

(٢) ينظر: المصدر السابق - ٣٨١ .

(٣) البنى النحوية – ١٧ .

(٤) المصدر السابق - ١٣ .

(٥) ينظر: قضايا اساسية في علم اللسانيات الحديث – ١١٨ .

(٦) ينظر: جوانب من نظرية النحو - ٢٨ .

(٧) ينظر: المصدر السابق – ٣١ - ٣٢ .

(٨) ينظر: المصدر السابق - ٤٩ - ٥٠ .

(٩) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة – ٩٩ .

أنواع النحو عند تشومسكي :

لقد عرفنا ان النظرية التوليدية احدثت وجود نظام من القواعد كامن في الإنسان، يساعده على فهم عدد لا حد له من الجمل ، ويساعده على انتاج عدد لا حصر له منها ، وبينت النظرية ان عمل الباحث اللغوي يتحدد بتفسير هذه الجمل ووصفها^(١).
وقد تبني تشومسكي ، ثلاثة نماذج لغوية شكلية تنتج اللغة التي بين تشومسكي ان الإنسان قادر ، بكفايته اللغوية ، على إنتاج تراكيب غير محدودة منها، وعلى أساس قدرته على الخلق والإبداع فيها^(٢). وما تجب الإشارة اليه في طريقة التحليل النحوي عند تشومسكي ما يأتي :

١- إن (النحو) - عنده - وصف شامل للغة (الصوتي والنحوي والدلالي) ، وليس تحليلاً للجمل فقط .

٢- يقوم (النحو) على عمليات محدودة تولد جملاً غير محدودة ، كما هو حال اللغة التي تنتج جملاً غير محدودة من اصوات محدودة .

٣- يشمل (النحو) الجمل النحوية كلها - والنحوية فقط - في اللغة ، وهذا كان سبباً في رفض تشومسكي طريقة الوصفيين - التي تقوم على إجراءات الاستكشاف - إذ يؤكد أن ما نحتاج اليه ، هو اجراء تقويمي نختبر به الطرائق الممكنة لتقنين النحو ، لإختبار الأفضل في تصور اللغة^(٣).

وقد ميز تشومسكي بين ثلاثة أنواع من النحو :

أولاً : نحو الحالات المحدودة - Finite State -

يبدو هذا النوع كآلة مبرمجة تستطيع أن تمر بعدد محدود من الحالات ، كإفترض أن هذه الآلية ترسل رمزاً معيناً ، كلما انتقلت من حالة إلى أخرى ، ونفترض انها تحوي حالة أولية ن وحالة نهائية . ويسمى تتابع الكلمات خلال الانتقال بـ(الجملة) وتسمى اللغات الحاصلة بهذه الطريقة التوليدية ، بلغات ذات حالات محدودة ، كما تسمى الآليات التي تنتج هذه اللغات قواعد ذات حالات محدودة^(٤).

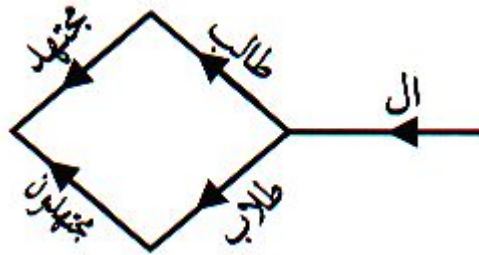
- (^١) ينظر: المنهج التوليدي والتحويلي – دراسة وصفية وتاريخية -١٠٧ .
 . (^٢) ينظر: المصدر السابق-١٠٧ .
 . (^٣) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث – ١٢٧-١٢٨ .
 . (^٤) ينظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام -٨٩ – ٩٠ .

ويمكن تمثيل ذلك بما يأتي :

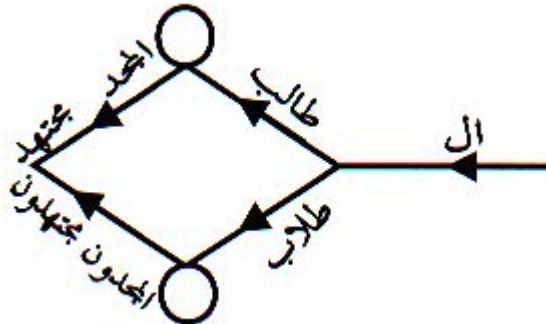
١- الطالب مجتهد .

٢- الطلاب مجتهدون .

إذ نجد ان العنصر الأول (أل) أعطى حقاً اختيارياً للعنصر الذي تلاه (طالب)
 أو (طالب) ولكن العنصر الثاني (طالب) أوجب او الزم مجيء (مجتهد) في الوقت الذي
 أوجب العنصر (طالب) مجيء لعنصر (مجتهدون) (^١) .



ونستطيع بهذه الطريقة ان نوسع الجملة بالانتقال من حالة معينة الى الحالة نفسها بزيادة
 حلقة الى الرسم التخطيطي .



يقول تشومسكي ((ان الأجهزة التي تولد اللغات بهذه الطريقة ،
تعرف

بـ (عمليات ماركوف ذات الحالة المحدودة) ((^(٢) .
غير أن تشومسكي أعرض عن هذه الطريقة ، لأنها تقوم على افتراض ، وهو أن
الجملة تتكون بتوليد كلمة بعد كلمة ليتحقق الاقتضاء ، ولأنها لا تقدم تحليلاً إلا لعدد يسير
محدود من الجمل في حين ان اللغة تقدم عدداً غير محدود من الجمل^(٣) .

-
- (١) ينظر: المنهج التوليدي والتحويلي – دراسة وصفية وتاريخية -١٠٧ .
(٢) البنى النحوية -٢٧ – ٢٨ .
(٣) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها – ٦٢ .

ثانياً : نحو المكونات – Phrase Structure -

وهو ما يسمى بـ (الإنموذج الركني)^(١) . وهذه الطريقة تستطيع وصف بعض
القضايا اللغوية التي لا تستطيع طريقة الحالات المحدودة وصفها فضلاً عن التي تستطيع
الحالات المحدودة وصفها^(٢) .

وتقوم هذه الطريقة على فكرة تحليل الجملة الى عناصرها الأساسية مباشرة ، وهي
ذات الفكرة التي نادى بها بلومفيلد بواسطة مخطط الخانات^(٣) .

غير ان تشومسكي يقترح تمثيل يلائم هذا النوع بصورة افضل ، ويعرف
باسم

(المخطط المشجر) فيمثل الجملة بالعودة الى مؤلفها المباشر وبشكل مجرد يبين مختلف
العلاقات القائمة بين عناصر التركيب^(٤) .

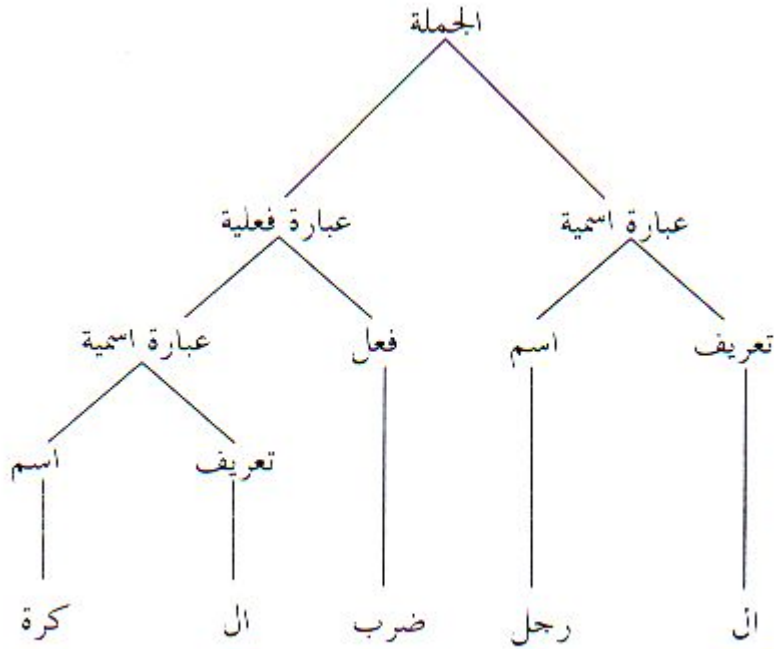
إذ تقوم هذه الطريقة باعادة الرموز المأخوذة من النحو التقليدي ،
ممثل (جملة ، فعل ، أسم ، نعت) إذ تعاد كتابة التركيب على وفق
الرموز المرسوم به ، وتسمى (قواعد اعادة الكتابة) أي انها تعيد كتابة رمز برمز
اخر ، الى ان يتم توليد الجملة^(٥) .

ونمثل لها بالجملة (الرجل ضرب الكرة) ونحلها بالعربية :

- ١- الجملة ← عبارة اسمية + عبارة فعلية .
 - ٢- العبارة الأسمية ← أداة + أسم .
 - ٣- العبارة الفعلية ← فعل + عبارة أسمية .
 - ٤- فعل ← ضرب ، أكل ، أخذ ... الخ .
 - ٥- أسم ← رجل ، كرة ، ولد الخ .
 - ٦- أداة ← أل ^(٦) .
- ثم نطبق هذه الرموز على قواعد اعادة الكتابة :
- ١- الجملة ← عبارة أسمية + عبارة فعلية .
 - ٢- أداة + أسم + عبارة أسمية .
 - ٣- أل + رجل + فعل + عبارة أسمية .
 - ٤- أل + رجل + ضرب + عبارة أسمية .
 - ٥- أل + رجل + ضرب + أداة + أسم .
 - ٦- أل + رجل + ضرب + أل + أسم .
 - ٧- أل + رجل + ضرب + أل + كرة ^(٧) .

-
- (١) ينظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام - ٩٢ .
- (٢) ينظر: الألسنية والتوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية - ١٣٠ .
- (٣) ينظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام - ٩٢ وتشومسكي فكرة اللغوي وآراء النقاد فيه - ١١ - ١١٢ .
- (٤) ينظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام - ٩٣ .
- (٥) ينظر: المصدر السابق - ٩٥ .
- (٦) ينظر: البنى النحوية - ٣٧ .
- (٧) ينظر: المصدر السابق - ٣٩ .

ونستطيع تمثيل هذه الجملة بالمخطط المشجر الآتي (١) .



غير ان تشومسكي يرى ان هذه الطريقة تتسم بالضعف ، وذلك لانها لا تستطيع ان تبين القواعد التي يحدث فيها حذف بعض العناصر ، أو تبديل مواقعها فيما بينها ، كما يتعذر تحليل العلاقات القائمة بين الجمل المختلفة ، لذا توصل تشومسكي الى طريقة جديدة اخرى (٢).

ثالثاً : النحو التحويلي - Transformational -

تستند هذه الطريقة في عملها الى تحليل البنية العميقة للجملة اساساً لها ، ومن ثم تحليل البنية السطحية وصولاً الى عامل الحدس عند صاحب اللغة ، وهذه الطريقة التحويلية تتوسع في توضيف الرموز التي طرحتها الطريقة الركنية (٣).

وتتطلق فكرة هذه الطريقة من ان هناك نظام قواعد كامناً في الإنسان يطرح بنية عميقة تحوي اساس مجرد ، ووحدات معجمية تفرع في هذا الاساس وقواعد تحويلات تقدم وتؤخذ في بنية العبارة ، ليألفها السطح في شكلها (٤).

ومن ابرز خصائص هذه الطريقة انها تحاول ان تعالج التداخل بين الجمل وكيفية ارتباط هذه الجمل بعضها ببعض في إطار جملي تحويلي واحد . وقد زاد تشومسكي في هذه النظرية الموسعة عدد الرموز التي جاءت في الطريقة الثانية فأهتم بالعدد ، والزمن ، وبالاسماء ، وبالأفعال التام والناقصة ... وغير ذلك مما يحتاج اليه في التحليل (٥).

- (١) ينظر: البنى النحوية - ٤٠ .
 (٢) الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام - ٩٦ .
 (٣) ينظر: المنهج التوليدي والتحويلي - دراسة وصفية تاريخية - ١١١ .
 (٤) ينظر: المصدر السابق - ١١٢ .
 (٥) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها - ٦٤ .

وباستخدام عناصر التحويل (التقديم والتأخير ، الحذف ، الزيادة ...) يتم التمايز بين جملتين ما - في هذه الطريقة - وهذا يعني اننا نستطيع ان نولد من خلال هذا المنهج ما لا نهاية من الجمل في البنية العميقة ، وننطق ما لا نهاية منها على البنية السطحية ، بعد المرور بقواعد التحويلات (١) .

بهذا يتضح ان (النحو) مستقل عن (الدلالة) فقد ذهب تشومسكي الى ان النظرية الدلالية ليست نظرية تامة ومضبوطة ، وهي بالتالي ليست قادرة على وضع معيار دلالي دقيق يمكن من خلاله تحديد طريق معينة قادرة على تحديد ما هو نحوي ، وما هو ليس بذلك . لذلك يرى ان العملية (النحوية) مستقلة عن العملية (الدلالية) بالرغم من وجود بعض العلاقات النسبية بينهما (٢) .
 لذلك فالبنية العميقة هي تركيب نحوي مجرد ، وليست صورة دلالية للجملة ، أو بنية دلالية لجملة . فهذه بنية مستقلة عن بنيتها العميقة . إذن ، فالبنية العميقة هي تركيب نحوي يتألف من عناصر نحوية ، في حين ان البنية الدلالية للجملة تتكون من عناصر دلالية

(معنوية) أولية وما يربط بينهما من علاقات دلالية (٣) .
 وهذا يعود الى ان تشومسكي وجد ان هناك جملاً غير نحوية ، ولكنها مقبولة دلالياً ، وجملاً أخرى نحوية ، غير انها غير مقبولة دلالياً ، هذا حتم عليه الفصل بين (النحو) و (الدلالة) (٤) .

بناء على ذلك ، فقد وهم من رأى ان البنية العميقة هي المسؤولة عن بروز المعنى الدلالي للجملة (٥) .

فالمعنى الدلالي ، في آخر تطور يقع على مستوى جديد يتوسط (البنية العميقة)

و (البنية السطحية) بعد ان تجري عليه عمليات النقل ، نقل بعض العناصر من مكان الى آخر (٦) .

- (١) ينظر: المنهج التوليدي والتحويلي - دراسة وصفية تاريخية - ١١٢-١١٣ .
- (٢) ينظر: قضايا اساسية في علم اللسانيات الحديث - ١٠١-١٠٢ .
- (٣) ينظر: مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي - ١٢-١٣ .
- (٤) ينظر: جوانب من نظرية النحو - ١٨٨ .
- (٥) ينظر: النح العربي والدرس الحديث - ١١٥ ، مدخل في اللسانيات - ١٤٠ ، في نحو اللغة وتراكيبها - ٥٨ ، مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي - ١٥
- (٦) ينظر: مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي - ١٥ .

قائمة المصادر والمراجع

- ١- اتجاهات البحث اللساني - ميلكا فيتش- ترجمة- د . سعد عبد العزيز مصلوح ، د . وفاء كامل فايد - الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية - ١٩٩٦ .
- ٢- اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة - د. نايف خرما ، عالم المعرفة- الكويت ١٩٧٨م.
- ٣- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) . د. ميشال زكريا- المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان- ط٢ - ١٩٨٦ .
- ٤- الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام - د. ميشال زكريا - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٩٨٠ م .
- ٥- البنى النحوية - نعوم تشومسكي - ترجمة - د. يوثيل يوسف عزيز - دار الشؤون الثقافية - بغداد - ١٩٨٧ .
- ٦- البنيوية في اللسانيات - د. محمد الحناش - دار الرشاد الحديثة - الدار البيضاء - ط- ١ - ١٩٨٠ م .
- ٧- تشومسكي فكرة اللغوي وآراء النقاد فيه - د. صبري ابراهيم السيد - دار المعرفة الجامعية - مصر - ١٩٨٩ م .

- ٨- التفكير اللساني في الحضارية العربية - د. عبد السلام المسدي - دار الكتاب العربي - تونس - ط ٢ - ١٩٨٦ م .
- ٩- التفكير اللغوي بين القديم والجديد - د. كمال بشر - دار الثقافة العربية .
- ١٠ - جوانب من نظرية النحو - نعوم جومسكي - ترجمة - د. مرتضى جواد باقر - مديرية مطبعة الجامعة - جامعة الموصل - ١٩٨٥ م .
- ١١- العربية وعلم اللغة البنيوية - دراسة في الفكر اللغوي الحديث - د. حلمي خليل - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية - ١٩٨٨ م .
- ١٢- في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق - د. خليل احمد عمايرة - دار المعرفة - السعودية - ط- ١ - ١٩٨٤ م .
- ١٣- قضايا اساسية في علم اللسانيات الحديث - مدخل - د. مازن الوعر - مطبعة العجلوني - دمشق - ط - ١ - ١٩٨٨ م .
- ١٤- قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين - د. محمود سليمان ياقوت - دار المعارف - مصر - ١٩٨٥ م .
- ١٥- اللسانيات وأسسها المعرفية - د. عبد السلام المسدي - المطبعة العربية - تونس - ١٩٨٦ م .
- ١٦- اللغة والعقل - نعوم تشومسكي - ترجمة - بيداء على العلكاوي - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد - ١٩٩٦ م .
- ١٧- مدخل في اللسانيات - صالح الكشو - الدار العربية للكتاب - تونس - ١٩٨٥ م .
- ١٨- مشكلة البنية أو اضواء على البنيوية - د. زكريا أبراهيم - دار مصر - للطباعة .
- ١٩- مفهوم البنية العميقة بين جومسكي والدرس النحوي العربي - د. مرتضى جواد باقر - مجلة اللسان العربي - الرباط - ع/ ٣٤ - ١٩٩٠ م .
- ٢٠- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث - د. علي زوين - دار الشؤون الثقافية العامة - آفاق عربية - بغداد - ط ١ - ١٩٨٦ م .
- ٢١- المنهج التوليدي والتحويلي دراسة وصفية تاريخية - منتدى تطبيقي في تركيب الجمل في السبع الطوال الجاهليات - رفعت كاظم السوداني - أطروحة دكتوراه - اداب بغداد - ٢٠٠٠ م .
- ٢٢- النحو العربي والدرس الحديث - بحث في المنهج - د. عبد الراجحي - مطبعة الانتصار - ١٩٨٨ م .
- ٢٣- النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي - د. محمد حماسة عبد اللطيف - دار العلوم - القاهرة - ط ١ - ١٩٨٣ م .
- ٢٤- نشأة الدرس اللساني العربي الحديث - دراسة في النشاط اللساني العربي الى بداية السبعينيات - فاطمة الهاشمي - بكوش - رسالة ماجستير - اداب - بغداد - ١٩٩٩ م .
- ٢٥- نظرات في النحو التحويلي - د. حسام سعيد النعيمي - مجلة آفاق عربية - بغداد - ١٩٩٩ م .

٢٦- نظريات تشومسكي اللغوية - جون ليونز - ترجمة وتعليق - د. حلمي خليل - دار
المعرفة الجامعية - ط ١ - ١٩٨٥ م .